University of Bahri
Journal of Arts and Human Sciences
مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الانسانية

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية – المجلد 1، العدد 1، فبراير 2026، الصفحات: 37–52
University of Bahri Journal of Arts and Human Sciences (UBJAHS), Vol. 1, No. 1, February 2026

تعدُّد مصادر التصوُّف في الأديان وأثرها على التصور والسلوك الصوفي: دراسة تحليلية نقدية مقارنة

الزين مصطفى عبد المقيت محمد، أستاذ مساعد، قسم الأديان، جامعة بحري.
Email: alzainmageet1983@gmail.com

المستخلص:

يتناول هذا البحث الموسوم بـ (تعدد مصادر التصوف في الأديان وأثرها على التصور والسلوك الصوفي) أهم معالم التصوف في الأديان الكبرى: الهندوسية، البوذية، اليهودية، المسيحية، والإسلام، بوصفه ظاهرة روحية مشتركة تتجاوز الخصوصيات العقائدية، إذ ينبع التصوف في الهندوسية من نصوص الأوبانيشاد وممارسة اليوغا، بينما يرتكز في البوذية على التأمل والسعي نحو النيرفانا. وفي اليهودية يتجلى التصوف في القبَّالة ومفاهيم الاتحاد بالعالم الإلهي، أما في المسيحية فيظهر في الرهبنة والاتحاد بالمسيح. وفي الإسلام يقوم التصوف على التزكية الروحية ومفهوم الفناء في الله. وقد أظهرت الدراسة أن تعدد هذه المصادر وتأثيراتها أسهمت في صياغة سلوك ديني يتسم في كثير من صوره بوجود أنماط متشابهة ذات صلات مشتركة بين طوائف التصوف المختلفة، وأن الاختلافات في التفاصيل العقدية لا تنفي وجود أرضية روحية مشتركة أثرت بعمق في تشكيل التصور والسلوك الديني عبر العصور، فإن هناك حقاً مفاهيم وقواسم مشتركة وعقائد متشابهة تتقارب في جملتها وتختلف في بعض تفاصيلها. وخلصت الدراسة إلى أن التصوف لم يكن نتاج بيئة دينية واحدة، بل تأثر بتعدُّد مصادره الدينية والفكرية من الهندوسية والبوذية والمسيحية والإسلام والفلسفات المتعدّدة، وهذا التعدُّد انعكس على التصور الصوفي للوجود والإنسان والعلاقة مع الله فأوجد تنوعاً في المفاهيم (كالزهد الصوفي، والفناء، والعشق الإلهي)، وكذلك أوجد تبايناً في الممارسات والسلوكيات الصوفية. وبينت النتائج أن هذا التداخل والتأثير أتاح قدراً كبيراً من التشابه والتطابق أحياناً في المفاهيم الصوفية، وأدى إلى كثير من الانحرافات في التصورات والممارسات عن الأصول العقدية في الإسلام.

الكلمات المفتاحية: التصوف، الدين، التعدد، التصور، السلوك

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.
http://journal.bahri.edu.sd/index.php/ubjahs

The diversity of sources of mysticism in religions and its impact on mystical perception and behavior: a comparative critical analytical study

Alzain Mustafa AbdAlmuqit Mohamed. Assistant Professor, department of religions. University of Bahri.

Email: alzainmageet1983@gmail.com

Abstract

This research titled "The Diversity of Sources of Mysticism in Religions and Its Impact on Mystical Perception and Behavior" addresses the key features of mysticism in major religions: Hinduism, Buddhism, Judaism, Christianity, and Islam, as a shared spiritual phenomenon that transcends doctrinal particularities. Mysticism in Hinduism originates from the Upanishadic texts and the practice of yoga, while In Buddhism, it is based on meditation and the pursuit of Nirvana. In Judaism, mysticism is manifested in Kabbalah and concepts of union with the divine world, while in Christianity it appears in monasticism and union with Christ. In Islam, mysticism is founded on spiritual purification and the concept of annihilation in God. The study has shown that the multiplicity of these sources and their influences contributed to the formation.

The study concluded that Sufism was not the product of a single religious environment but was influenced by the diversity of its religious and intellectual sources from Hinduism, Buddhism, Christianity, Islam, and various philosophies. This diversity reflected on the Sufi perception of existence, humanity, and the relationship with the divine, creating a variety of concepts (such as Sufi asceticism, annihilation, and divine love), It also created a variation in Sufi practices and behaviors. The results showed that this overlap and influence allowed for a significant degree of similarity and sometimes alignment in Sufi concepts, leading to many deviations in perceptions and practices from the doctrinal foundations of Islam.

Keywords: Sufism, Religion, Pluralism, perception, conduct.

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.

١ المقدمة

يعد التصوف ظاهرة إنسانية عابرة للأديان والثقافات، وتمثل استجابة داخلية لحاجة الإنسان إلى السمو الروحي والبحث عن الحقيقة. وقد ظهر التصوف في الديانات الكبرى مثل الهندوسية والبوذية واليهودية والمسيحية والإسلام، ظهر متنوعاً في مصادره وأساليبه، لكنه يلتقي في جوهره حول قيم مشتركة كالمحبة، الزهد، والتأمل. إن دراسة تعدد مصادر التصوف تكشف عن عمق تأثيره في تشكيل التصور الديني والفلسفي للوجود، وانعكاس ذلك على السلوك الفردي والجماعي.

٢ أسئلة البحث:

1. ما هو مفهوم التصوف في الأديان وما هو مفهومه في المحيط الإسلامي؟
2. ما هي أبرز مصادر التصوف في كل من الهندوسية، والبوذية، والمسيحية، والإسلام؟
3. ما هي القواسم المشتركة والاختلافات بين مفاهيم التصوف المستمدة من هذه المصادر؟
4. كيف أسهم التصوف في صياغة التصور الديني حول الذات الإلهية والإنسان والوجود؟
5. ما هي انعكاسات التجربة الصوفية وآثارها على السلوك الديني الصوفي؟

٣ فروض البحث:

1. التصوف في الأديان يقوم على مصادر متنوعة لكنه يلتقي في كثير من جوانبه وأهدافه الروحية.
2. هناك قواسم مشتركة بين التجارب الصوفية رغم الاختلافات العقدية والطقوسية.
3. التشابه بين مفاهيم التصوف يشير إلى وجود تأثيرات تاريخية وتبادل ثقافي بين طوائف التصوف.
4. الاختلافات بين التصوف في كل دين مرتبطة بالتصورات العقدية واللاهوتية الخاصة بكل منظومة دينية.
5. رغم التقارب في المفاهيم الصوفية الظاهرية إلا أن هناك أبعاداً تحكم هذه المفاهيم والتجارب في كل دين وثقافة، وينتج عنها اختلاف في جوهر المفهوم لا في ظاهره.

٤ أهمية البحث:

1. يفتح آفاقاً جديدة لفهم الظاهرة الصوفية باعتبارها تجربة إنسانية كونية وليست حكراً على دين واحد.
2. يساعد على فهم أعمق لأثر التصوف في توجيه السلوك الديني.
3. يثري الدراسات المقارنة في الأديان، ويكشف عن المشترك الإنساني في التجربة الصوفية.
4. يساهم في تقديم رؤية أكثر شمولاً للتجربة الدينية من خلال البعد الباطني والروحي للتصوف.
5. تحدّد الدراسة أبعاداً عديدة تنقل التشابه بين المفاهيم الصوفية من مفاهيم ظاهرية إلى محاور تحليلية عميقة.

٥ أهداف البحث:

يرتجي الباحث من هذه الدراسة تحقيق الآتي:
1. تحديد وضبط مفهوم التصوف العام، وكذلك مفهومه من خلال حيثياته وتفاصيله في كل دين.

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.

2. بيان الجذور التاريخية والفكرية للتصوف في الديانات الكبرى.
3. إبراز أثر التصوف في توجيه السلوك الديني والفكري.
4. الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين مفاهيم ومصادر التصوف في الأديان.

٦ منهج البحث:

سيتبع الباحث عدداً من المناهج وهي:
المنهج الوصفي التحليلي من خلال أسلوبي الاستقراء والاستنباط، والمنهج النقدي والمقارن لمقارنة القواسم المشتركة والاختلافات بين التجارب الصوفية.

٧ هيكل البحث:

يتضمن هذا البحث مقدمة وخمسة وخاتمة تشمل النتائج والتوصيات، وهو كما يلي:

٨ المبحث الأول: مفهوم التصوف في اليهودية والمسيحية والإسلام:

يحسن بالباحث أن يتناول تعريف التصوف في اليهودية والمسيحية والإسلام، وذلك لخصوصية هذه الأديان وتميزها عن الهندوسية والبوذية، ولعناية هذه الأديان بتعريف مثل هذه المصطلحات:

١.٨ أولاً تعريف التصوف في الديانة اليهودية:

معلوم أن كل مصطلح له مدلول ومفهوم وضع له، وإذا ما بحثنا في التسمية اللفظية للتصوف في اليهودية لا نجدها بهذا اللفظ، ولكن بمسمى آخر، ونجد حقيقتها ومضمونها في اليهودية باسم (القبّالاه)، وقد عرفت بأنها:
معتقدات وشروحات روحانية فلسفية تفسر الحياة والكون والربانيات، وهي تيار باطني يهودي يهدف إلى تفسير النصوص المقدسة (التوراة) تفسيراً باطنياً من خلال معان خفية ورمزية (ويكيبيديا، 2025)

٢.٨ ثانياً: التصوف في المسيحية:

التصوف المسيحي مصطلح يصعب تعريفه وغالباً ما يُفسّر بأنه ممارسة المعرفة العملية لله، وهو تجاوز المعنى الحرفي والظاهري – للتشريع – والدخول في المعنى الحقيقي للكتاب المقدس أو ما يعرف بحقيقة الوحي أو تحقق الحرف في الروح.

٣.٨ ثالثاً: تعريف التصوف في الإسلام:

كثرت الأقوال في اشتقاق هذا الاسم (التصوف)، فمن قائل إنه من الصفاء، ومن قائل إنه من الصف المقدم، وآخرون يرون أنه من الصفوة أو الصفة، ولا يسعنا في هذه الصفحات تتبع هذه الأقوال، فقد قتلها العلماء بحثاً سواء كان هؤلاء من الصوفية أو غيرهم، فقد تعدّدت مذاهبهم في ذلك لتعدّد وجهات نظر كل منهم ومشربه، ويهمنا هنا ما يتصل به اسم التصوف لغة ومضموناً من هذه الترجيحات، التي هي أقرب للصواب من بين كل هذه الاجتهادات:
أولها: أن التصوف مأخوذ من (الصوف)، وذلك لأسباب ترجح صحة هذا الاشتقاق أكثر من غيرها من

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.
http://journal.bahri.edu.sd/index.php/ubjahs

الآراء الأخرى، منها:
أن النسبة إلى الصوف (صوفي)، وذلك يوافق قواعد اللغة من حيث النسبة والاشتقاق فيقال تقمص لمن لبس القميص وتصوف إذا لبس الصوف.
أ- أن لبس الصوف في الفلسفة الصوفية أقرب إلى التواضع والزهد، وفيه تأسي -على ما يرى الصوفية- بالأنبياء الذين لبس بعضهم الصوف، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُحب لبس الحبرة، وهي برد من برود اليمن تصنع من القطن وتحبّر أي تزيّن.
ولأن تسمية الصوفية من الصوف تتناسب مع مقام الزهد الصوفي وتعبر عنه في ظاهره، كما أنه من تمام موضوع التصوف الذي يرمي إلى الزهد في الدنيا والتقليل منها وهجر المتع واللباس الناعم، وبالطبع فإن هذا الحال ينطبق على جميع فرق التصوف في جميع الديانات فهو واقع لا مجال لإنكاره أو تجاوزه، فالناظر إلى جميع فرق التصوف الموجودة في مختلف الديانات يجد أن المبالغة في الزهد وحياة الرهبنة هي من أقوى الروابط والقواسم المشتركة بينها، وفي ذات الوقت يجد أن هذه الفلسفة بهذه الصورة لا وجود لها في الإسلام الذي ينتهج منهجاً وسطاً فيرشد تابعيه إلى طلب الآخرة مع التزود لذلك من الدنيا، فيقول الله تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا). (القصص، الآية: 77)، وإذا قارنا بين مفهوم هذه الآية وما نقله الشعراني في الطبقات عن رباح بن عمرو القيسي -من الصوفية الأوائل- أنه قال: لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، وأولاده كأنهم أيتام، ويأوي إلى منازل الكلاب (الشعراني، 2022، ص: 221). فإذا ما قورن ذلك بمعنى الآية ومقصدها عندها سيتضح الفرق بين هدي الإسلام في مقام الزهد وبين هذه الفلسفة الغريبة على الإسلام.
ثانيها: نسبة الصوفية إلى "سوفيا " اليونانية ومعناها الحكمة، والقائلين بذلك حجتهم أن القوم كانوا طالبين للحكمة حريصين عليها فأطلقت عليهم الكلمة وعربت أو حرفت فأصبحت صوفية وصوفي. ويرى آخرون أن ظهور هذه التسمية كان في زمن الترجمة في نهاية القرن الثاني والقرن الثالث الهجريين. وإنها نشأت في العراق بلد الترجمة وفي زمنها وهو الزمن الذي تفشت فيه الكلمات اليونانية واستعملت في مختلف الفنون. وأكد البيروني النسبة إلى (سوفيا) لأن فكرة القول بالوحدة ظهرت فيهم. وقد انتقد رأي البيروني جماعة من الباحثين مستندين إلى أن هذا القول ضعيف من جهة اللغة والعلم، لأن اللغة لا تؤيد انتقالاً واضحاً لهذا الاشتقاق، ثم أن الحكمة مرتبطة بالعقليات لا بالسلوك.
أما جميع الأقوال الأخرى عدا هذين الرأيين فهي تعبّر عن مقامات وصفات وليست اشتقاقات لجذر الاسم أو معنى في اللغة العربية يشير إلى هذه الصفات، بمعنى أن من قال إن التصوف هو التجرد من العلائق مثلاً لا يمكنهم ربط مصطلح التصوف بالتجرد لغة ومعنى، لكنهم يربطونه من حيث المضمون والموضوع، ومن هذا الباب تتباين تعريفات التصوف بصورها المختلفة.
ويبقى أرجح الأقوال والتعريفات والتفسيرات وأقربها إلى القبول أن اشتقاق اسم التصوُّف من الصوف كما ذهب إلى ذلك القشيري في رسالته، وأبو نصر السراج الطوسي صاحب (اللمع)، والكلاباذي، وهؤلاء كلهم من أئمة التصوف، وكذلك ما ذهب إليه غيرهم من أهل التحقيق، وإن كان شيوخ التصوف قد أوضحوا أن التصوف يهتم بالجوهر قبل المظهر ويعنى بالحقائق والأعمال أكثر من عنايته بالرسوم والأشكال (ظهير، 1989، ص 33).
وقد رجح الطوسي نسبتهم إلى ظاهر اللباس (الصوف) وعلل ذلك بأنه دأب الأنبياء، وشعار الأولياء والصديقين والمتنسكين، وقارن بين هذه التسمية واسم الحواريين أي الذين كانوا يلبسون البياض فنسبوا إليه ولم ينسبوا إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 2003، ص: 30).

٤.٨ التعريف الاصطلاحي للتصوف:

نزعة إنسانية ظهرت في كل الحضارات على نحو من الأنحاء، وهو يعبِّر عن شوق الروح إلى التطهر،

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.
http://journal.bahri.edu.sd/index.php/ubjahs

ورغبتها في الاستعلاء على قيود المادة وكثافتها، وسعيها الدائم إلى تحقيق مستويات عليا من الصفا الروحي والكمال الأخلاقي (موسوعة المفاهيم الإسلامية، ص: 140).
وهو كذلك: ظاهرة إنسانية ذات طابع روحي لا تحده حدود مادية – زمانية أو مكانية، وليس وقفاً على أمة بعينها، ولا على لغة او جنس من الأجناس البشرية (عفيفي دون تاريخ، ص: 32).
فهذا التعريف الاصطلاحي العام يشمل التصوف في جميع الديانات التي ظهر فيها بما فيها الإسلام، من غير تحديد التصوف المنسوب إلى ثقافة أو دين معيَّن، فإذا ما حُدِّد بدين معين اختلف تعريفه من دين لآخر بحسب مصدره وتفاصيله الخاصة به (خلفياته الدينية)، وفي الجملة فإن هذا التعريف الاصطلاحي من أدق التعريفات الشاملة للتصوف في معناه العام لا الخاص، فإذا ما خصصناه هنا نقول: التصوف البوذي، الإسلامي، المسيحي ... إلخ.
وهذه التعريفات كلها تتفق في أن التصوف يهتم بالمعاني والأسرار الباطنية للنصوص، ولذلك تجد مصطلح الشريعة والحقيقة لدى المتصوفة المسلمين والمسيحيين واليهود، لكن رغم ذلك التشابه لا بد أن نشير إلى أنه في أحيان عديدة نجد أن لكل تقليد صوفي بنيته ومفهومه الخاص، فلا يصح مثلاً أن نسقط مفهوم (الفناء) على كل الأديان، وأن تقارب المفهوم بين الطوائف لكن يبقى للاختلاف أبعاده كالخلفية الدينية والبيئة والأهداف ... إلخ.

٩ المبحث الثاني: أسباب نشأة التصوف في الإسلام والديانات الأخرى

إن الناس في نشأة التصوف، وخاصة الإسلامي يذهبون مذهبين، فقوم يرون أن أصله الرهبنة البوذية والنصرانية، أو الثقافات الهندوسية وغيرها، وآخرون يجعلونه إسلامياً خالصاً فيرجعون أصوله إلى فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كالزهد، والتعبّد والخشية والتقوى إلى غير ذلك من المعاني والقيم الروحية، ولكن فات هؤلاء وأولئك أن التصوف كلمة فضفاضة تدخل في عباءتها فلسفات ومعتقدات تختلف وتتفق بين الديانات في أمور كثيرة، فهو ظاهرة موجودة في كثير من الديانات وليس حصراً على الإسلام فقط، ولذلك ما دامت هناك اختلافات واتفاقات يحصل التنوّع الذي نشهده الآن فهناك تصوف بوذي، هندوسي، يهودي، ونصراني، هذا من حيث الاختلاف، ومن حيث الاتفاق فالاسم المشترك (الصوفية) خير شاهد على وجود الاتفاق بينها بالإضافة إلى القواسم المشتركة بينها في النظرية والممارسة، كما مر معنا في اتفاق رؤية التصوف في الأديان الثلاثة على مسميات كالشريعة والحقيقة، وكذلك وسيأتي تفصيل هذه القواسم المشتركة من خلال الاشتراك في المفاهيم في مكانه من هذه الدراسة.
ولذلك فالصحيح أن يقال إن أصل التصوف يختلف بحسب ظروف وأسباب نشأته في كل دين، ويتفق في معتقدات تمثل رابطاً مشتركاً ومتشابهاً أو متنقلاً من دين لآخر، وهو ما يُعرف بالتأثير والتأثر.
وبناءً على ذلك فالتصوف ليس مذهباً محدداً أو فرقة كما يظن الكثيرون، وإنما هو نزعة روحية وميولات إنسانية وظاهرة عالمية عابرة للأديان، ولذلك يقال: أشعري صوفي، وماتريدي صوفي، وفقيه صوفي، ويهودي صوفي، ومسيحي صوفي ... إلخ، مع تأكد وجود اختلافات بينها واتفاقات. (عفيفي، دون تاريخ، ص: 55).
ويمكن أن يتناول الباحث الأسباب العامة والمشتركة التي ساعدت في نشأة التصوف في الأديان الكبرى كما يلي:
1- البحث عن المعنى العميق للدين: فكثير من المتدينين لم يكتفوا بالطقوس والشعائر الظاهرة، بل سعوا إلى لب الدين وروحه، فكان نشوء التصوف من هذا الجانب رد فعل على الالتزام الظاهري فقط دون حياة قلبية.
2- الميل الفطري إلى التقرب من الله أو المطلق: يبحث الإنسان منذ القدم عن الارتباط بالقوة العليا، فكان التعبير الصوفي العميق عن هذا الميل من خلال الزهد، التأمل، والرياضة الروحية.
3- الاضطرابات الاجتماعية والسياسية: فكانت كثرة الفتن والحروب والاستبداد وانهيار القيم تدفع بعض

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.
http://journal.bahri.edu.sd/index.php/ubjahs

الناس إلى الهروب من الواقع عبر التفرغ للعبادات الروحانية، ولذلك نرى ازدهار التصوف في فترات الاضطراب، وكمثال لذلك:

أ- اليهودية في زمن السبي البابلي (التصوف القبالي).

ب- المسيحية في عصر الاضطهاد الروماني، حيث نزعت إلى الرهبنة.

ت- الإسلام بعد الفتن والحروب، ظهرت بعدها الطرق الصوفية.

4- الرغبة في التجربة الشخصية المباشرة مع الله: حيث يؤكد التصوف على أن معرفة الله لا تقتصر على العلماء ورجال الدين، بل يمكن لكل فرد أن يصل إلى التجربة الروحية المباشرة، لذلك يكثر في التصوف الحديث عن "الذوق"، "الشهود"، و"الرؤية القلبية".

5- رد الفعل على المادية والانغماس في الدنيا.

6- التأمل في الكون والوجود: وذلك أن العجز عن تفسير أسرار الكون والغيب دفع المتصوفة إلى طريق التأمل والكشف الداخلي.

١.٩ ثانياً: التصوف في الديانة اليهودية:

إن المكون الصوفي في الديانة اليهودية يُعرف بـ(القبَّالاه) وهي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود، والاسم مشتق من كلمة عبرية تفيد معنى التواتر، أو القبول، أو التقبل، أو ما تلقاه الخلف عن السلف أي التقاليد والتراث، أو التقليد المتوارث (المسيري، 1999، ص164).

إن القبالاه في حقيقتها ومظهرها تمثل التصوف اليهودي، وهي نوعان: تصوف يهودي يدور في إطار توحيدي، ويصدر عن الإيمان بإله يتجاوز الإنسان والطبيعة والتاريخ، وآخر حلولي يصدر عن الإيمان بالواحدية الكونية حيث يحل الإله في الطبيعة والإنسان والتاريخ. (المسيري، 1999، ص164).

والقبالاه إرث شفوي وتصوف يهودي باطني، فقد كان يقصد بالكلمة أصلاً تراث اليهودية الشفوي المتناقل فيما يُعرف باسم "الشريعة الشفوية"، ومصطلح " قبالاه" واحد من مصطلحات أخرى تشير إلى المدلول نفسه، فالتلمود يتحدث عن "رازي هتوراه" أي أسرار التوراة، وقد كان يشار إلى المتصوفين بعبارات "يوردي مركافاه" أي " النازلون إلى المركبة"، وقد ظهرت في القرن الثاني عشر والقرون التالية (Britannica, 2025)، وقد أطلق العارفون بأسرار القبَّالاه («مقوباليم» بالعبرية و«القبَّاليون» بالعربية على أنفسهم لقب «العارفون بالفيض الرباني» (المسيري، ص165)، فهي تقليد من حيث أنها تدعي معرفة سرية بالتوراة غير المكتوبة (الوحي الإلهي) التي نقلها الله إلى موسى وآدم.(Britannica, 2025) وعلى الرغم من أن الالتزام بشريعة موسى ظل المبدأ الأساسي لليهودية، إلا أن الكابالا وفرت وسيلة للتقرب من الله مباشرة، وبالتالي أعطت اليهودية بعداً دينياً عدّ البعض أن مقارباته الصوفية لله خطيرة وتعد من البدع والهرطقة (Britannica, 2025).

٢.٩ أولاً: نشأة الصوفية اليهودية (القبّالاه):

وظهرت القبالاة في القرن الثاني عشر في بروفانس، جنوب فرنسا، التي كانت في ذلك الوقت مسرحاً لهرطقة الكاثار وهي واحدة من عدد من الحركات الدينية التي ظهرت خلال القرون الوسطى، لكنها بلغت مرحلة النضج في إسبانيا في القرن الثالث عشر، مع تأليف سفر الزوهار، ومنذ ذلك الحين أصبحت الكابالا الاتجاه الرئيسي للصوفية اليهودية والثيوصوفيا والباطنية (Barnavi, 2025).

ويؤكد بعض الباحثين أن (الكاباله) دخلت كقوة مضادة للسطحية المتزايدة لفلسفة الميمونيين، اندلعت العاصفة ضد نظامه في بروفانس وانتشرت إلى أسبانيا، ويمكن اعتبار هذه الدولة الأخيرة الموطن الحقيقي للكابلا، وعندما طُرد اليهود من تلك البلاد، ترسخت الكابلا في فلسطين ومن ثم انتقلت إلى بلدان مختلفة في أوروبا (بيك، 1913، ص: 14).

إن الأفكار الأساسية للقبالة ليست يهودية، فهي مستمدة من فيلو، والأفلاطونيين الجدد، والفيثاغوريين

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.
http://journal.bahri.edu.sd/index.php/ubjahs

الجدد، بل ونلاحظ أحياناً تأثيرات غنوصية، ولكن الدمج الوثيق بين هذه العناصر المختلفة والأفكار التوراتية والمدرشية قد أعطى هذه الأجزاء صبغة يهودية (بيك 1913، ص: 14–15).

١٠ المبحث الثالث: تعدُّد مصادر التصوف في الأديان

١.١٠ أولاً: مصادر التصوف البوذي:

أ– تعاليم بوذا (الدارما): جوهرها السمو الروحي عبر التأمل والانفصال عن المتعلقات المادية.
ب– التأمل (مديتاشن): الوسيلة الأساسية للوصول إلى الاستنارة (النيرفانا).
ت– الأخلاق والانضباط (فينايا): الالتزام بأخلاقيات الرهبنة وضبط النفس.

٢.١٠ ثانياً: مصادر التصوف الهندوسي:

أ– الفيدا والأوبانيشاد: وهي النصوص الفلسفية والروحية التي أسست لمفاهيم الروح (آتمن) والاتحاد بالمطلق (براهما).
ب– اليوغا: وهي طريق عملي للتزكية والسيطرة على الجسد والعقل.
ت– البهاغافاد غيتا: وهو نص ملهم في العرفان، يركز على الإخلاص والعمل غير المرتبط بالثمرات.
والخلاصة أن البوذية تركز على التأمل والانعتاق من المعاناة، والهندوسية تنوعت فيها الطرق بين المعرفة والمحبة والرياضة الروحية للوصول إلى الاتحاد بالمطلق.

٣.١٠ ثالثاً: مصادر التصوف اليهودي (القبَّالاه):

تتعدّد مصادر القبَّالاه أو الصوفية اليهودية وتتنوع بحسب مشربها الفكري وتنقسم إلى:

١.٣.١٠ المصادر النصية المبكرة:

أ– التوراة (العهد القديم) خاصة أسفار التكوين، الخروج، وحزقيال (رؤيا المركبة ،(Merkavah حيث استلهمت منها القبالاه مفاهيم عن الخلق والعرش الإلهي.
ب– التلمود والمدراش: احتوت شذرات عن أسرار الخلق، وأسرار العرش.
ج– سفر التكوين العبري (سفر التكوين الكبير Sefer (Yetzirah من أقدم نصوص التصوف اليهودي (القرن 3– 6) يتناول خلق الكون بالحروف والأرقام.
د– سفر الهكلوت: نصوص "قصور السماء" مرتبطة بالتصوف المركبي (Merkavah Mysticism) حيث يبدأ هذا العمل المنسوب إلى إسماعيل بن إليسا، بوصف عرش الله وأسرته المكونة من جيوش ملائكية، وقد أعاد "جيلينك" طباعة هذا الانتاج الصوفي في بيت هاميدراش، في المجلد الثالث، فيتم الاحتفال بتمجيد الله القدير وعرشه المركب (بيك، 1913، ص:17).

٢.٣.١٠ المصادر الكلاسيكية للقبالاه:

أ– سفر البهار " كتاب النور"، ظهر في جنوب فرنسا في القرن الثاني عشر الميلادي، ونسب إلى الحاخام نحونيا بن هقناه.
ب– سفر الزوهار " كتاب الإشراق": أهم نص قبالي، كُتب بالآرامية، ونسب تقليدياً للحاخام (شمعون بن يوحاي) في القرن الثاني الميلادي، وبالرغم من أن الأبحاث الحديثة ترجّح أنه ألفه (موسى دي ليون) في إسبانيا في القرن الثالث عشر الميلادي، إلا أن الإشارات إلى شمعون بن بن يوحاي والكابالا في التلمود،

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.
http://journal.bahri.edu.sd/index.php/ubjahs

والأدلة الداخلية في الكتاب نفسه تظهر أقوى احتمال أنه ثمرة ونتيجة لتعليمات شمعون الشخصية (بيك، 1913، ص: 6).

٣.٣.١٠ المصادر الفلسفية والروحية:

أ- الفلسفة الأفلاطونية المحدثة: خاصة في الأندلس حيث تأثر القباليون بمفاهيم الفيض والمراتب الروحية.
ب- التصوف اليهودي المبكر (Merkavah Mysticism): الذي ركّز على الصعود الروحي عبر سبع سماوات والتأمل في العرش الإلهي.
ج- القبالاه اللوريانية (نسبة لإسحاق لوريا في صفد في القرن السادس عشر الميلادي): أضافت مفاهيم مثل " الانقباض، والكسر، وإصلاح العالم.
4- التقاليد الشفوية: اعتمدت القبالاه أيضاً على تعاليم سرية كانت تدرس في دوائر محدودة من الحاخامات، ونُقلت من المعلمين إلى التلاميذ جيلاً بعد جيل، مع تحفظ كبير على نشرها.

٤.١٠ رابعاً: مصادر التصوف المسيحي:

للتصوف المسيحي جذور عميقة ومتنوعة، إذ تكوّن من التقاليد الكتابية (الكتاب المقدس)، ومن الفكر الآبائي والآداب الروحية التي تطورت في الكنائس الشرقية والغربية، ويمكن تقسيم مصادر التصوف المسيحي إلى محاور رئيسية:

١.٤.١٠ المصادر الكتابية:

أ- العهد القديم: كسفر المزامير بما فيه من صلوات وتأملات روحية، وأسفار الأنبياء خاصة إشعياء وحزقيال التي تتضمن رؤى وأبعاداً رمزية، ونشيد الأنشاد، الذي فسّره المتصوفة رمزياً عن علاقة النفس بالله.
ب- العهد الجديد: مثل إنجيل يوحنا (خصوصاً حديث المسيح عن الاتحاد به "أنا فيكم وأنتم فيّ).
ورسائل بولس الرسول مثل: (غلاطية: 2: 20)، "مع المسيح صُلِبت فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ)، وسفر الرؤيا برؤاه الرمزية واللاهوتية.

٢.٤.١٠ الآباء الأوائل: (Patristic Sources):

أ- القديس أغسطينوس (354 – 430م): كتاب الاعترافات يمثل مرجعاً روحياً في البحث عن الله والاتحاد به.
ب- غريغوريوس النيصي (القرن الرابع): له مؤلفات عن "الرؤية المظلمة" و"الصعود إلى الله".
ج- أوريجانوس: بتأويله الرمزي للكتاب المقدس، أسس لتصورات روحية عميقة.
د- ديونيسيوس الأربوباغي المجهول القرن الخامس والسادس الميلادي، والذي كتب عن "اللاهوت السالب" (Mystica Theologia) وأسس لفكرة الاتحاد بالله عبر نفي الصفات.

٣.٤.١٠ الأدب النسكي والرهباني:

أ- أقوال الآباء الصحراويين (Desert Fathers) في مصر مثل أنطونيوس الكبير وباخوميوس.
ب- كتاب السلم إلى الله (The Divine Ladder of Ascent) للقديس يوحنا السلمي في القرن السابع الميلادي.
ج- كتابات الرهبان البندكتيين والفرنسيسكان والكرمليين.

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.

٤.٤.١٠ الأدب الصوفي في القرون الوسطى:

أ- القديسة تريزا الأفيلية (1515 – 1582م) وكتابها القلعة الداخلية.
ب- القديس يوحنا الصليبي (1542 – 1591م) وكتابه الصعود إلى جبل الكرمل والليل المظلم للنفس.
ج- القديسة كاترينا السيانية (1347 – 1380م) في رسائلها وحوارها الروحي.
د- كتاب التقليد المسيحي، مثل كتاب (اقتداء المسيح) لتوما الكمبيسي.

٥.٤.١٠ المؤثرات الفلسفية واللاهوتية:

أ. الفلسفة الأفلاطونية المحدثة والتي أثرت في آباء الكنيسة.
ب. اللاهوت الشرقي (الأرثوذوكسي) خاصة فكرة التأله .(Theosis)
ج. التصوف الغربي الكاثوليكي الذي تأثر بالفكر المدرسي (سكولاستيكا) مع توما الأكويني.
من التأثيرات المتشابهة بين الفكر الهندوسي والمسيحي والصوفي الفلسفي: الاتحاد مع الله: حيث يشير ميرتون (ميرتون، 2023، ص: 7) إلى التجسد بوصفه مركز التصوف المسيحي، والتعليم البابوي الثابت هو أن اتحاد الكلمة بالبشرية في شخص المسيح تجعل المشاركة في الحياة الإلهية ممكنة، سواء في هذه الحياة أو في الأبدية، ويقف مفهوم الخلاص على نفس القدر من المركزية بالنسبة لأي خبرة مسيحية أو تأويل للاتحاد الصوفي، ويتحقق فقط من خلال موت الذات المغتربة والنفس الخاطئة وبزوغ حياة جديدة مع وفي المسيح، وهكذا يشارك الشخص في الحياة الإلهية للحب الثالوثي.

٥.١٠ خامساً: مصادر التصوف في الإسلام:

إن منشأ التصوف الإسلامي تختلف فيه آراء وأقوال المؤرخين، فهو كالاسم تماماً من جهة الاختلاف فيه، فقوم يرون أنه إسلامياً في أشكاله وصوره ومبادئه وهو قول المتصوفة، وقوم يرون أنه لا علاقة له بالإسلام من حيث النشأة وإنما يُبحث عن أصله في الفكر الأجنبي وهو قول أكثر السلفيين والفقهاء والمتكلمين من أهل السنة من المتقدمين، وقالت طائفة إنه اسم للزهد المتطور بعد القرون المشهود لها بالخير كرد فعل لزخرفة المدنية وزينتها التي انفتحت أبوابها على المسلمين بعد الغزوات والفتوحات. (ظهير، 1986، ص: 46).
وقال آخرون إن التصوف وليد الأفكار المختلطة من الإسلام واليهودية والمسيحية ومن المانوية والمجوسية والمزدكية، وكذلك الهندوكية والبوذية، وقبل كل ذلك من الفلسفة اليونانية وآراء الأفلاطونية الحديثية، وتمسك بهذا الرأي بعض الكتّاب في الصوفية من المسلمين وغير المسلمين (ظهير، 1986، ص: 46). ومن المستشرقين المتمسكين بهذا الرأي فون كريمر، وغولدتسيهر، ونيكلسون، وآخرون.
وبناء على ما سبق يُعلم أن التصوف الإسلامي متعدد المصادر والمشارب، ومن تلك المصادر:

١.٥.١٠ القرآن الكريم السنة النبوية:

فقد استغل متصوفة الإسلام هذين المصدرين كما استغلهما المتكلمون والفلاسفة والشيعة، واستخدم الصوفية في فهمها طرقاً متنوعة من التأويل وقرأوا في نصوصهما معاني جديدة لم يسبقوا إليها، وحملوا هذه النصوص ما لا تحتمل كما فعل ابن عربي في كتابه "فصوص الحكم" الذي يخرج في كل فصل من فصوله صورة من صور مذهبه في "وحدة الوجود" مستنداً إلى طائفة من آيات القرآن يؤولها تأويلات باطنية على خلاف الظاهر (عفيفي، بدون تاريخ، ص: 72).

٢.٥.١٠ أقوال السلف من المتصوفة وبعض الزهاد الأوائل وعلماء الكلام:

فالناظر في كتب التصوف كـ(اللمع) للطوسي، و(التعرف) للكلاباذي، و(الرسالة) للقشيري يجد أن الصوفية

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.
http://journal.bahri.edu.sd/index.php/ubjahs

قد استغلوا علم الكلام ومزجوه بنظريات التصوف وأساليبه، وقد تسرب إلى التصوف كثير من نظريات الأشاعرة والكرامية، والشيعة، والإسماعيلية الباطنية والقرامطة.
3- كتب التصوف الكلاسيكية، مع التأثر بالفلسفات والثقافات من خارج المحيط الإسلامي كالأفلاطونية الحديثة ومنها أفكار فلسفية كالكشف والشهود، وكذلك نظرياتهم في المعرفة التي هي ترجمة لكلمة (غنوص) اليونانية، وفي النفس وهبوطها إلى هذا العالم، وفي العقل الأول والنفس الكلية، بل في الفيوضات، فكلها مستمدة من مصادر أفلاطونية حديثة مع قليل أو كثير من التحوير (عفيفي، بدون تاريخ، ص: 75).

١١ المبحث الثالث: المفاهيم والفلسفات والتأثيرات المشتركة بين فرق التصوف الديني وأبعادها

تكثر القواسم المشتركة بين فرق التصوف الديني في الأديان، ومن المفاهيم المشتركة بينها على سبيل المثال:

١.١١ التثليث:

وهو في الديانة البرهمية والمسيحية، وقد تأثر به التصوف الإسلامي الفلسفي الباطني، فأخذ بعض متفلسفة الصوفية بفكرة التثليث، وإن كانوا يجعلون لها فهم ومدلول غير المعنى المسيحي، فهذا ابن عربي في (فصوص الحكم) يقول: (اعلم وفقك الله أن الأمر كله مبني في نفسه على الفردية ولها التثليث فهي من الثلاثة فصاعداً) (عفيفي، بدون تاريخ، ص: 79). ونجده يجهر بالتثليث في فكره وعقيدته فيقول (الغراب، 1992، ص: 165):

تثلثت محبوبي وقد كان واحداً كما صيروا الأقنام بالذات أقنما

٢.١١ الاتحاد والفناء:

وتعد عقيدة الفناء عند المتصوفة تطوُّر وتحول من مفهوم التوحيد الذي هو إقرار بالوحدانية لله تعالى في صفاته وأسمائه وألوهيته وربوبيته إلى توحيد ذوقي للامتناهي في حال شعور عميق بوحدة شاملة تغيب فيها معالم فردية الصوفي وشخصيته ولا يبقى ماثلاً أمامه سوى الله، وهو قريب الشبه بالاتحاد في الخالق، والذي تشترك فيه الديانات الهندية كالهندوسي والبوذية، والمسيحية. ففلسفة الاتحاد في المسيحية تعنى أن المؤمنين مسوقون إلى الأب من خلال الابن، ويقف مفهوم (الخلاص) على نفس القدر، ويتحقق فقط من خلال موت الذات المغتربة والنفس الخاطئة وبزوغ حياة جديدة مع (وفي) المسيح (ميرتون، 2023، ص: 8).
وقد انقسم أهل التصوف الفلسفي الباطني في حقيقة الفنا إلى مذاهب:
فمنهم من ذهب إلى أنه امتلاء القلب والروح بالتعلق بالله تعالى. ومنهم من ذهب إلى أنه امتزاج في نفس الله تعالى، وهم الحلولية والاتحادية. ومنهم من ذهب إلى أن أصل الموجودات كلها هي الله، والفناء هو الكشف عن هذه الحقيقة، وهؤلاء هم أهل وحدة الوجود.
ويعقد التفتازاني مقارنة في الفناء لدى كل من صوفية المسلمين الباطنيين وصوفية المسيحية والصوفية البرهمية، فيقول:
ويقصد بالفناء الحالة النفسية التي يشعر معها الصوفي بذاته، كما يشعر بأنه بقي مع حقيقة أسمى مطلقة، هي الله عند صوفية المسلمين، أو الكلمة عند صوفية المسيحيين، أو براهما في تصوف البرهمية (معهد الإنماء العربي، 1986، ص: 259).

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.
http://journal.bahri.edu.sd/index.php/ubjahs

٣.١١ وحدة الوجود:

وقد ظهر مذهب وحدة الوجود في التصوف الفلسفي الباطني على يد الفيلسوف الصوفي محي الدين ابن عربي. ومعنى وحدة الوجود عند ابن عربي هي أن الوجود بأسره حقيقة واحدة ليس فيها ثنائية ولا تعدُّد، فالحق والخلق عنده اسمان لحقيقة واحدة (عفيفي، بدون تاريخ، ص: 176).

٤.١١ الحلول:

وقد تأثر التصوف الفلسفي الباطني بالعقيدة المسيحية، وممن قال بالحلول بالمعنى المسيحي الحسين بن منصور الحلَّاج الذي يقول:

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا لخلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

وفي هذه الأبيات إشارة إلى ثنائية الطبيعة الإنسانية: اللاهوت والناسوت، وهما اصطلاحان أخذهما الحلاج عن المسيحيين السريان الذين استعملوهما للدلالة على طبيعة المسيح (عفيفي، بدون تاريخ، ص: 78).

ولكي نقف على حقيقة التأثير والتأثر الصوفي بين الأديان ينبغي الإشارة إلى أمر مهم في هذه القضية، وهو أن المبالغة في مسألة التأثير إلى حد نسبة التصوف كله إلى الثقافات الأجنبية هو من قبيل الشطط والخروج عن الموضوعية، وإنكارنا كذلك للمؤثرات الخارجية جملة وتفصيلاً هو أيضاً خروج عن الموضوعية، والصواب الاعتراف بالمؤثرات الخارجية في صورها العامة لا في تفاصيلها، وانطلاقاً من هذه الحقيقة يمكننا القول إن التأثير بين الصوفية الإسلامية والتصوف اليهودي يظهر في جوانب عديدة، وخاصة تأثير التصوف الإسلامي على التصوف اليهودي، وكمثال لهذا التأثير أنه عندما فتح مخزن كنيس بن عزرا في القاهرة قبل أكثر من قرن عثر فيه على أعمال لكُتَّاب صوفيين مسلمين وأتقياء (حسيديم) يهود من القرون الوسطى كُتبت بالعربية والعبرية على السواء، ويتجلى في تلك الأعمال الاستلهام الواضح من الصوفية (شكر، 2010).

يعود كثير من هذه المخطوطات إلى فترة الحاخام إبراهيم بن ميمون (1186– 1237)، وهو ابن الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون، ومن هنا تتبدى لنا العلاقة بين الفلسفة والتصوف اليهودي، حتى كأنهما لا ينفكان عن بعضهما في النظرية والتصور، وقد كان الحاخام إبراهيم بن ميمون شخصية قيادية على الصعيدين الديني والسياسي في عصره، كما كان من أكثر ممثلي النهج الصوفي في العبادة اليهودية ويسمى في الأدبيات العبرية بـ(الحسيدوت) المشتقة من "حسيد" أي التقوى، يعنى أن شخصاً تقياً يسلك درباً روحانياً يشبه النهج الذي يتبعه المتصوفة المسلمين (شكر، 2010).

ولم يكتف الحاخام إبراهيم بن ميمون بالإطار النظري فقط، بل أدخل سلسلة من التحديثات على الصلاة في الكنيس اليهودي، مثل غسل اليدين والرجلين قبيل أداء الصلاة، وهذا أمر لم يكن من الشعائر اليهودية المفروضة، وكذلك انتظام المصلين في صفوف كما هو معمولٌ به لدى المسلمين، وحركات الجسد أثناء الصلاة كالوقوف والركوع والسجود، ورفع اليدين عند الدعاء والابتهال إلى الله.

يقول بعض الباحثين: (ولما كان التصوف الإسلامي أنموذجاً يُحتذى في أوساط القبالين من الطائفة اليهودية فإن نقط التشابه لا تُعدم في الأدبين لدى المجموعتين، أو لنقل إن خطوط التبعية في الأدب الصوفي اليهودي للتصوف الإسلامي تبدو واضحة في طقوس العبادة اليومية، ومنها قيام الليل عند اليهود واللجوء إلى الخلوة تجنباً للقاء الخلق) (الغرايب، 2019).

ويوجد بين التصوف اليهودي والتصوف الإسلامي نقاط توافق، ففي حين يمثل التصوف الإسلامي البعد الروحي للإسلام، يمثل التصوف اليهودي كذلك البعد الروحي لليهودية.

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.
http://journal.bahri.edu.sd/index.php/ubjahs

ومن الفرق اليهودية ذات الطابع الصوفي فرقة الحسيديم، ويظهر من أقوال مؤسس الحركة الحسيدية وأقوال بعض زعمائها الاعتقاد بفكرة وحدة الوجود، ولكن وحدة الوجود التي يؤمنون بها تختلف عن تلك التي يقول بها الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا مثلاً، فقد كان هذا الفيلسوف يؤمن بما يسمى Pantheism ، والتي تعني وحدة الله في الطبيعة، بينما وحدة الوجود عند الحسيديم تنطلق من القول باشتمال الله على الطبيعة، أي أن الطبيعة في الله وليس العكس، ولذلك يرى بعض الباحثين أن يُطلق على وحدة الوجود عند الحسيديم Panentheism (حسن، 1994، ص: 61).

٥.١١ المفاهيم المتشابهة بين التصوف البوذي والإسلامي:

1- الزهد والتجرد: فكلاهما يدعو إلى قلة التعلق بالدنيا والانصراف إلى تهذيب النفس.
2- الرياضات الروحية: مثل الصمت، الخلوة، والتأمل، والمجاهدة.
3- فكرة الفناء: ويعبر عنها في البوذية بـ(النيرفانا) وهي انطفاء الرغبات وانمحاء الأنا، وفي التصوف الإسلامي بالفناء في الله ثم البقاء به.
4- المحبة الشاملة: البوذية تدعو إلى الرحمة تجاه جميع الكائنات، والتصوف الإسلامي يركز على المحبة لله التي تنعكس في محبة خلقه.
وبالنظر إلى قنوات التأثير التاريخي نجد أن الالتقاء الثقافي في الشرق بين التصوف الإسلامي والبيئات التي
انتشر فيها الفكر البوذي والهندوسي في بلاد ما ورا النهر (الهند، خراسان، السند).
أيضاً من قنوات التأثير الخارجي التلاقح عبر الترجمة، فبعض مفاهيم البوذية والفلسفات الهندية وصلت إلى المسلمين عبر الترجمات في العصر العباسي، يضاف إلى ذلك الممارسات المشتركة، فطائفة من المؤرخين أشاروا إلى أن ممارسة الخلوة الطويلة، وترديد الأذكار قد تأثرت بالطقوس الهندية والبوذية، لكن الصوفية أعطوها مضموناً توحيدياً إسلامياً.
المفاهيم المشتركة بين التصوف الهندوسي والتصوف الفلسفي الإسلامي:
1- الزهد والتجرد: فهما يدعوان إلى ترك متاع الدنيا والتركيز على تهذيب النفس.
2- الرياضة الروحية: مثل الصوم، الصمت، الخلوة، الإنشاد الروحي، والتأمل.
3- المحبة الإلهية: ومنه قول رابعة العدوية: (الغراب، 1992، ص: 147).

أحبك حبين حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا

ونظيره في الهندوسية مفهوم البهاكتي، أي الحب العميق للإله، والذي تجسده طرق العبادة الشخصية لفيشنو أو كريشنا. وفي التصوف الإسلامي العشق الإلهي ومفهوم المحبة الإلهية والفناء في الله.
4- الفناء والاتحاد: وهو في الهندوسية الاتحاد بالبراهمان (الروح الكونية)، وفي البوذية (النيرفانا) انطلاق الروح والاتحاد بالله، والمؤرخون يرون أن هذا تطوُّر في الديانة البوذية لأن بوذا لم يتحدث عن الإله. وفي التصوف الإسلامي الفناء عن الذات والبقاء بالله، وفي التصوف المعتدل دون ذوبان في الذات الإلهية لأن الإسلام يؤكد على التمييز بين الخالق والمخلوق، لكن في التصوف الفلسفي هو الاتحاد صراحة بالإله، ومن رواد هذا المفهوم الفلسفي الحسين بن منصور الحلاج.

٦.١١ المفاهيم المشتركة بين التصوف المسيحي والإسلامي وأبعادها:

يلتقي التصوف المسيحي مع التصوف الإسلامي في عدد من المفاهيم الروحية والوجدانية من أبرزها:
1- المحبة الإلهية: فكلا التيارين يعدان أن جوهر الطريق الروحي هو محبة الله والتقرب إليه، بل إن بعض المتصوفة المسلمين مثل رابعة العدوية ركزت على الحب الخالص لله، وهو شبيه بما شدَّد عليه المتصوفة المسيحيون كالقديسة تيريزا الأفيلاوية التي تقول: (إني رغبت أن أهب نفسي إلى الله منذ سن

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.
http://journal.bahri.edu.sd/index.php/ubjahs

الثلاث سنوات) (القديسة تيريزا، 1990، ص: 33).
2- الزهد وترك الدنيا: (Asceticism) ، حيث يرى التصوف الإسلامي والمسيحي أن الانغماس في متاع الدنيا يحجب القلب عن الله، لذا يشجعان على التخفف من الشهوات والعيش ببساطة.
3- الرياضة الروحية: يشترك التصوف الإسلامي والمسيحي في ممارسة المجاهدة للنفس، كالصوم، السهر، كثرة العبادة، الخلوة، والتأمل، من أجل تزكية الروح.
4- الفناء والاتحاد: التصوف الفلسفي الإسلامي يقرر مبدأ "الفناء في الله"، بمعنى محو الأنا والذات أمام عظمة الله، ويجنح غلاة التصوف الفلسفي الباطني المنسوب إلى الإسلام إلى تقرير عقيدة الاتحاد بالله، وكذلك التصوف المسيحي يقرر "الاتحاد بالله"، يقول أفلوطين: (وقد حدث مرات عدة أن ارتفعت خارج جسدي بحيث دخلت نفسي، ومن هنا استيقظ، وهذه اليقظة أتحد بالله) (زكريا، 1970، ص: 39).
5- الخلوة والعزلة: يظهر من سلوك التصوف في هذه السمة أنه يدعو إلى الرهبنة وهي الانقطاع إلى العبادة وترك الكسب وهجر الحياة الاجتماعية، يقول ابن عجيبة الحسني: (الاشتغال بالعبادة والتجريد عن الأسباب من أعظم القرب عند ذوي الألباب، إذ لا يصفو الباطن من الأغيار ويملأ من المعارف والأسرار إلا إذا تخلص الظاهر من كثرة الأكدار، ولا يتخلص إلا إذا تجرد من الأسباب واتكل على الملك الوهاب) (ابن عجيبة، 2016، ص: 234)، والتأمل كذلك سمة مشتركة، فالرهبان المسيحيون مارسوا "الاعتكاف" والصوفية مارسوا الخلوة والاعتزال.
وأما الرهبنة وهجر الأهل والانقطاع فهو أمر لا يقره الإسلام إذ لا رهبانية فيه، ولا عزوف ولا انقطاع ولا هجر، ودليل ذلك قصة الرهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعزموا على الامتناع عن الأكل والنوم والفراش طلباً للعبادة، فبين لهم النبي خطأ اعتقادهم وأرشدهم إلى الصواب (البخاري، 1987، حديث: 4776).
يقول ديورانت في موسوعته قصة الحضارة: (واعتزمت قلة من المسيحيين أن تجد مكانها في السماء عن طريق الفقر والعفة والصلاة، فاعتزلت العالم اعتزالاً تاماً) (ديورانت، 1988، ص: 137).
6- أدب التصوف الإسلامي الذي يتمثل في رموز ومجازات ابن عربي وجلال الدين الرومي، فهو شبيه بما كتبه المتصوفة المسيحيون من أشعار روحية مثل: يوحنا الصليب.

٧.١١ أبعاد مفاهيم ومعاني التصوف المشتركة:

عطفاً على هذه المقارنة التي تعكس المفاهيم والسمات المشتركة للتصوف في الأديان، يحسن بالباحث أن يشير إلى أبعادها المتعدّدة التي تشكّل في مجملها بنية مركبة من الآتي:
أ. البعد الغائي (الهدف النهائي): حيث تختلف أغراض التصوف الموضوعية في كل ثقافة بحسب مفهومها للتجربة، فنجد مثلاً هدف التصوف الهندوسي التحرر ،(moksha) وفي البوذية النيرفانا. ونجد الاتحاد بالله (devekut) في اليهودية، والاتحاد بالمسيح في المسيحية.
ب. البعد المعرفي (الأبستمولوجيا): أي كيف تفهم الخبرة الصوفية، هل تفهم كمعرفة مباشرة بلا وساطة كما في البوذية، أو كمكمل للوحي والنصوص (الكتاب المقدس، الفيدا، القرآن).
ج. المنهج والوسيلة: أي كيف يمارس التصوف عملياً، وتختلف في ذلك الوسائل فنجد بعض التجارب عن طريق التأمل (mediation) أو التركيز العميق (dhyana) كما في التقاليد الهندوسية والبوذية، وبعضها بالتكرار الطقسي كالمانترا والذكر والتراتيل، فالبوذية والهندوسية مثلاً تعتمد التأمل العميق، وتزيد البوذية الانقطاع عن الدنيا، بينما اليهودية والمسيحية والتصوف الإسلامي تميل أكثر للصلاة والعشق الروحي مع ممارسة الرهبنة والتقشف أيضاً كآلية مشتركة.
د. المرجعية أو البعد السلطوي: تتعدَّد جهات رعاية التجربة الصوفية بين شيوخ الطرق وأدبياتهم كما في التصوف الإسلامي، والمعلمون (الغورو) كما في التصوف البوذي والهندوسي، والمؤسسات الصوفية الدينية كالكنيسة، الدير، المعبد ... إلخ كما في المسيحية واليهودية.

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.
http://journal.bahri.edu.sd/index.php/ubjahs

هـ. البعد الاجتماعي: ويظهر هذا البعد مختلفاً أيضاً بحسب النتيجة المجتمعية للتجربة الصوفية، فبعض الطرق تعتمد الانسحاب الفردي المتمثل في الخلوة والنسك، وبعضها تميل إلى الإصلاح الاجتماعي والخدمة كالحركات الصوفية الإصلاحية.
و. الخلاصة: غالباً نرى تشابهاً بين التجارب الصوفية كالشعور بالامتداد، أو فقدان الإحساس بالزمان والمكان، أو الاتحاد بالمطلق، لكن هذا التشابه ليس مطلقاً.

١٢ آثار تعدد مصادر التصوف على السلوك الديني:

1. التركيز على الباطن أكثر من الظاهر: مع تأثر التصوف بالفلسفات والديانات المختلفة صار المتصوفة يميلون إلى "الباطنية" والبحث عن المعنى العميق للعبادة، دون اهتمام بالمظهر الخارجي.
2. الزهد والانصراف عن الدنيا: فهذه الفكرة تجمع بين جميع أطياف التصوف بمختلف مشاربه.
3. تعميق البعد الأخلاقي: وذلك لأن التصوف يشدّد على تهذيب النفس، الصبر، التواضع، التسامح، محبة الخلق، الرحمة.
4. المرونة والانفتاح: بسبب تعدُّد مصادره صار التصوف أكثر انفتاحاً وتسامحاً تجاه الآخر، من غير إيلاء مبدأ الولاء والبراء اهتماماً واضحاً في كثير من الممارسات.
5. ظهور الغلو والبدع والمبالغات: فقد أفرز هذا التعدد ممارسات بعيدة عن أصول الدين: كالغلو في الكرامات، أو القول بالاتحاد والحلول، أو اعتماد طقوس غير مألوفة.
6. التشظي وتعدد الطرق والجماعات: خلقت هذه التأثيرات المتعددة أرضاً خصبة لنشوء طرق صوفية تختلف في أورادها وأذكارها، الأمر الذي أثر على التدين.
7. الجنوح إلى التجربة الفردية: فالصوفي لا يعتمد فقط على التعاليم الدينية المتمثلة في الشريعة، بل صار يبحث بنفسه عن "ذوق روحي" خاص به.
8. اتجه التصوف إلى تحويل العقيدة من الالتزام الفكري والنظري إلى تجربة وجدانية واقعية.
9. هذه جملة من أبرز الآثار التي نتجت عن تعدد مصادر الفكر الصوفي في الأديان الكبرى.

١٣ الخاتمة:

بعد استعراض موضوع تعدد مصادر التصوف في الأديان وأثرها على التصور والسلوك الصوفي تبيَّن أن التصوف لم ينشأ من فراغ، وإنما تأثر بجملة من المصادر الدينية والفلسفية والروحية عبر العصور، بدءاً من الجذور الهندوسية والبوذية واليهودية والمسيحية وصولاً إلى التجربة الإسلامية التي صاغت لنفسها خصوصية إلى حد ما. وقد أظهرت الدراسة أن هذا التعدُّد في المصادر قد انعكس بشكل مباشر على التصور الصوفي من حيث المفاهيم والرموز والمصطلحات، كما انعكس على السلوك الصوفي من حيث الممارسات والطقوس وأساليب التربية الروحية.
ويظهر من خلال الدراسة أن الانفتاح غير المنضبط على مصادر متعددة قد أفرز انحرافات فكرية وسلوكية في بعض الاتجاهات، مما يستدعي التمييز بين ما هو أصيل منضبط بالوحي، ومما هو دخيل يحتاج إلى نقد وتمحيص.
وبذلك يمكن القول إن دراسة مصادر التصوف وأثرها على التصور والسلوك الصوفي تمثل مدخلاً أساسياً لفهم طبيعة التصوف، وتحديد ملامحه الأصيلة والدخيلة على البيئة الإسلامية، الأمر الذي يسهم في بناء رؤية أكثر اتزاناً حوله، ويضع بين يدي الباحثين منطلقات لمزيد من الدراسات النقدية والتحليلية في هذا المجال.

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.
http://journal.bahri.edu.sd/index.php/ubjahs

١٤ النتائج:

1. يختلف مفهوم التصوف باختلاف المرجعية العقدية.
2. غم الاختلاف بين طوائف التصوف، نجد أن هناك كثير من القواسم المشتركة منها أن التصوف تجمعه الرابطة الروحية الباطنية التي تتجاوز ظاهر الشعائر وتبحث عن العمق الروحي والعلاقة مع المقدس.
3. تمثل ردود الفعل على قسوة الواقع الاجتماعي والسياسي، والحاجة الداخلية للروح الإنسانية، والرغبة في الزهد لمواجهة المادية
4. هناك بنية فلسفية مشتركة للفلسفات والمفاهيم الصوفية، مع اختلاف التفسير بحسب المرجعية العقدية.
5. المصادر النصية والعملية أسست شرعية التصوف لكنها أيضاً كانت سبباً في تعدد الاتجاهات، فانبنت على النصوص شروح وتأويلات بشرية.
6. تعلي التجارب الصوفية الباطن على حساب الظاهر، الأمر الذي أدى إلى ضعف الالتزام بالشعائر الظاهرة وبعد عن النصوص بحجة الاكتفاء بالروحانية.
7. التشابه الظاهري لمفاهيم وفلسفات التصوف في الأديان ليس مطلقاً وإنما يتحدّد التباين بين المفاهيم عبر أبعاد متعدّدة.

المراجع

١. ابن عجيبة، أحمد بن محمد (2016) الفتوحات الإلهية، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، ط1، القاهرة: عالم الفكر.

٢. البخاري، محمد بن إسماعيل (1987) صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب، ط3، بيروت: دار ابن كثير.

٣. بيك، برنهارد (1913) الكابالا: تأثيرها على اليهودية والمسيحية، شيكاغو– لندن: شركة المحكمة المفتوحة للنشر.

٤. حسن، جعفر هادي (1994) اليهود الحسيديم– نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم وتقاليدهم، ط1، بيروت: دار الدار الشامية، ودمشق: دار القلم.

٥. ديورانت، وِل (1988) قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون، ط1، بيروت: دار الجيل.

٦. زكريا، فؤاد (1970) التساعية الرابعة لأفلوطين في النفس، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

٧. ظهير، إحسان إلهي (1986) التصوف المنشأ والمصدر، ط1، لاهور، باكستان: إدارة ترجمان السنة.

٨. عفيفي، أبو العلا (دون تاريخ) التصوف الثورة الروحية في الإسلام، بيروت: دار الشعب للطباعة والنشر.

٩. الغراب، محمود محمود (1992) الحب والمحبة الإلهية من كلام الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، ط2، دمشق: مكتبة الكاتب العربي.

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.
http://journal.bahri.edu.sd/index.php/ubjahs

١٠. القديسة تريزا (1990)، سيرة نفس. بازيليك القديسة تريزا، ط3. شبرا، القاهرة.

١١. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (2003) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، نخبة من العلماء، إشراف د. محمود حمدي زقزوق، القاهرة: وزارة الأوقاف.

١٢. المسيري، عبد الوهاب (1999) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مصر: دار الشروق.

١٣. معهد الإنماء العربي (1986) الموسوعة الفلسفية العربية، إعداد نخبة من المحررين برئاسة معن زيادة، ط1، بيروت: مكتبة مؤمن قريش.

١٤. الموسوعة البريطانية

١٥. ميرتون، توماس (2023) مقدمة في التصوف المسيحي، ترجمة: كرم عباس، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

المواقع الالكترونية:

١. شكر، نيمت (2010)، التصوف اليهودي والإسلامي: على خطى الصوفية بعباءة يهودية، ترجمة يوسف حجازي، موقع قنطرة تاريخ الاطلاع: 11/12/2025م، على الرابط: https://www.qantara.de/article/

٢. الغرايب، محمد (2019) التصوف اليهودي بين العقيدة والتاريخ، موقع الأنطولوجيا، تاريخ الاطلاع: 11/12/2025م، على الرابط: https://alantologia.com/blogs/blog/4401/

٣. ويكيبيديا (2025) (قبالة يهودية) التصوف اليهودي للتوراة، تاريخ الاطلاع: 11/12/2025م، على الرابط: https://ar.m.wikipedia.org/

Websites:

١. Britannica (2025) Kabbala Jewish mysticism, written by the Editors of Encyclopedia Britanica, Aug 1, 2025.P 330. https://www.britannica.com .

٢. Britannica, Kabbala Jewish mysticism .Article Written by Salo Wittmayer, Gerson D .Sep 6, 2025. P330. https://www.britannica.com/.

٣. Barnavi, Eli, Kabbala (2025) Origins of Spiritual Adventure, https://myjewishlearning.com .

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية. جميع الحقوق محفوظة © 2026.
http://journal.bahri.edu.sd/index.php/ubjahs